شرح الشفا

للقاضي عياض

شرحه

الملا علي القاري الهروي الحنفي

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

ضبطه وصححه

عبد الله محمد الخليلي

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ، لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3128-1
9 782745 131287 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لإرادة العيان كما لا يخفى على الأعيان ولابن عطاء حكم توجب في الجملة كشف غطاء فأحببت أن أذكرها وهي قوله. كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء أم كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء بل وهو الظاهر قبل وجود كل شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء فالحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده انتهى وإذا قال الله تعالى ﴿لا يحيطون به علماً﴾ كيف يحيطون به جرماً وإني للعدم حتى يغلب القدم نعم أن لله سبحانه وتعالى سبعين ألف حجاب من النور في عالم الظهور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليها نور بصره وقد قال الله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي باطل ومضمحل وفان في نظر أرباب العرفان في كل آن وزمان ولذا قال بعض أرباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وقال بعض الشطار ليس في الدار غيره ديار فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفي عين أبديته أول وفي عين أزليته آخر وغيره كالهباء في الهواء والسراب في نظر مشتاق الشراب وإلا فما للتراب ورب الأرباب والله تعالى أعلم بالصواب.

فصل

أي من متعلقات هذا الباب (**ثُمَّ ٱخْتَلَفَ ٱلسَّلَفُ**) أي الصحابة والتابعون (**وَٱلْعُلَمَاءُ**) أي الخلف المجتهدون (**هَلْ كَانَ**) أي وقع (**الإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ**) أي فقط (**أَوْ جَسَدِهِ**) أي مع روحه في جميع اسرائه أو في بعضه كما سيأتي في كلامه ويندرج فيه أيضاً قول آخر لبعضهم أنه أسري به مرتين مرة مناماً ومرة يقظة جمعاً بين الروايتين وكذا قول التوقف بأن يقال اسري به ولا يقال يقظة ولا مناماً وهو قول غريب حكاه الإمام الجوزية في أوائل كتابه الهدى ولعل وجهه أنه ورد في بعض طرق الخبر أنه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة أمره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتباراً بالغلبة وكأن المصنف لم يلتفت إلى هذه المقالة فينتظم قوله (**عَلَى ثَلاَثِ مَقَالاَتِ**) أي لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (**فَذَهبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامٍ**) بدل مما قبله أو عطف تفسير له إذ هو في هذا المقام إنما يكون في حال المنام (**مَعَ ٱتِّفَاقِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا ٱلأَنْبِيَاءِ حَقٌّ**) أي ثابت غير كذب (**وَوَحْيٌ**) أي يعمل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ وحديث تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم (**وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ رضي الله تعالى عنه**) أي من الصحابة كما رواه ابن إسحاق وابن جرير عنه وهو ابن أبي سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو أحد كتبة الوحي وقيل إنما كتب له كتبه إلى الاطراف وتولى الشام في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكماً إلى أن مات وذلك أربعون سنة روى عنه ابن عباس وأبو

سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وكان عنده إزار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره فقال كفنوني في قميصه وأدرجوني وفي رواية وآزروني بإزاره وأحشوا منخري وشدوا مواضع السجود مني بشعره وأظفاره وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين **(وَحُكِيَ)** أي مثل ذلك **(عَنِ الْحَسَنِ)** أي البصري. **(وَالْمَشْهُورِ عَنْهُ خِلاَفُهُ)** وهو أنه كان في اليقظة **(وَإِلَيْهِ)** أي وإلى هذا القول **(أَشَارَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)** أي ابن يسار إمام المغازي **(وَحُجَّتُهُمْ)** أي لقولهم إنه رؤيا منام **(قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾)** أي ظاهرة إذ في آخر الآية دلالة على أنه كان باليقظة حيث قال **(﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** [الإسراء:٦٠]) أي ابتلاء وامتحاناً في تصديق القضية إذ انكرته قريش وارتد كثير من أهل التقليد وصدقه الصديق وأهل التوفيق والتأييد إذ من المعلوم أنه لا فتنة إلا إذا كان في حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها لأنها من غرابتها في معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف أي تحقيق الرؤيا وتصديقها وبه يجمع بين الروايات فإنه رأى أولاً رؤيا وثانياً رؤية فقد قال السهيلي وذهبت طائفة منهم شيخنا أبو بكر إلى أن الإسراء كان مرتين أحديهما في نومه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذا الإسراء سهل عليه بالرؤيا لأن هوله عظيم ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكي هذا القول عن طائفة من العلماء وأنهم قالوا كان الإسراء مرتين مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد أن يقال اسراؤه الروحي كان مرات باعتبار المكاشفات في اليقظات والمنامات وأما اسراؤه الجسدي فمرة واحدة تحقيقاً لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع أن آية ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ قد قيل المراد بها ما رآه عام الحديبية أنه وأصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام﴾ الآية فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل لم يقل في هذا العام فدخلها بعد أو ما رآه في وقعة بدر بدليل قوله تعالى ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ ووقع في أصل الدلجي وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم أنه من أصل الكتاب وهو ليس في الأصول الصحيحة على الصواب **(وَمَا حَكَوْا)** أي وحجتهم أيضاً ما حكوه من رواية ابن إسحاق وابن جرير **(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا مَا فَقَدْتُ جَسَدَ رَسُولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** ويبطله أنه لم يدخل بها إلا بعد الهجرة والإسراء إنما كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن إسحاق بعد ان فشا الإسلام بمكة والأشبه أنه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووي عن المصنف وروي عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصيغة المفعول وهو أظهر في الاحتجاج المنقول **(وَقَوْلُهُ)** أي وحجتهم أيضاً قوله **(بَيْنا أَنَا نَائِمٌ)** أي في الحطيم وربما قال في الحجر. **(وَقَوْلُ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه)** أي وحجتهم أيضاً قوله في حديثه **(وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ)** أي قصة الإسراء وفيه أن كونه نائماً في

أول الوهلة لا ينافي وقوع القصة في اليقظة آخر الدفعة (**ثُمَّ قَالَ**) أي أنس رضي الله تعالى عنه (**فِي آخِرِهَا**) أي القصة (**فَٱسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) وفيه أن المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق في مقام الابرار مع احتمال أن نومه في حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (**وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ**) أي من الخلق (**إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ**) أي مع الروح لا بالروح دون الجسد (**وَفِي الْيَقَظَةِ**) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها وهي ضد المنام (**وَهَذا هُوَ الْحَقُّ**) أي الثابت عند أهله (**وَهُوَ قَوْلُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ**) أي ابن عبد الله (**وَأَنسٍ رضي الله تعالى عنه**) أي ابن مالك (**وَحُذَيْفَةَ**) أي ابن اليمان (**وَعُمَرَ رضي الله تعالى عنه**) أي ابن الخطاب وكان حقه أن يقدم على ما سبق من الأصحاب (**وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله تعالى عنهما**) مدني سكن البصرة وروى عنه أنس وغيره (**وَأَبِي حَبَّةَ**) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة قيل بالنون وقيل بالتحتية (**الْبَدْرِيِّ**) قيل هو الأنصاري وقيل هو غيره (**وَٱبْنِ مَسْعُودٍ**) رضي الله تعالى عنه وكان حقه أن يذكر بعد عمر لأنه أفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة وبه تم ذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم (**وَالضَّحَّاكِ**) أي ابن مزاحم الهلالي البلخي المفسر تابعي جليل يروي عن أبي هريرة وأنس وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وثقه أحمد وابن معين وذكره الشيرازي في فقهاء خراسان من أصحاب عطاء الخراساني وغيره (**وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**) يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره قتل في شعبان شهيداً أخرج له الأئمة الستة (**وَقَتَادَةَ**) أي ابن دعامة (**وَٱبْنِ الْمُسَيِّبِ**) بفتح التحتية المشددة وتكسر (**وَٱبْنِ شِهَابٍ**) أي الزهري (**وَٱبْنِ زَيْدٍ**) أي ابن أسلم وهو متكلم فيه (**وَالْحَسَنِ**) أي البصري (**وَإِبْرَاهِيمَ**) أي النخعي (**وَمَسْرُوقٍ**) أي ابن الأجدع الهمداني يروي عن أبي بكر ومعاذ رضي الله تعالى عنهما وكان أعلم بالفتيا من شريح أخرج له الأئمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال إنه سرق صغيراً ثم وجد فسمي مسروقاً وقد كانت عائشة تبنته فسمي ابن عائشة وكني بها روى عنه الشعبي والنخعي وغيرهما (**وَمُجَاهِدٍ**) أي ابن جبير (**وَعِكْرَمَةَ**) أي المفسر مولى ابن عباس لكنه أباضي وسيأتي في كلام المصنف بيانه (**وَٱبْنِ جُرَيْجٍ**) بالجيمين مصغراً فهؤلاء كلهم من أجلاء التابعين رحمهم الله تعالى (**وَهُوَ دَلِيلُ قَوْلِ عَائِشَةَ**) أي مذهبها المختار لها وهو لا ينافي ما سبق مما نسب إليها وحكي عنها وهذا الاستعمال شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا بطل اعتراض الدلجي على المصنف بقوله كيف يكون الإسراء يقظة بدليل قولها ما فقدت جسده المحتج به آنفاً أنه كان مناماً وقد سمعت إبطاله وتعجب من حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة للأول وكون الثاني دليلاً له فإنه سهو لا ريب من ذي فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ما قدمنا عنها أنها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصيرية ومثل هذه المسألة الخلافية لا تتصور إلا إذا كانت القضية في اليقظة بخلاف الحالة المنامية (**وَهُوَ قَوْلُ الطبري**) أي محمد